

الأحد ١٥ بعد العنصرة (٢ كو ٤: ٦-١٥)

بسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد آمين

يا أحببة، إنّ الرسالة التي سمعناها اليوم في القديس الإلهي هي مقطع من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس

يقول الرسول في مطلع هذا المقطع إن الله الذي أمر أن يشرق من ظلمة النور هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح ولنا هذا الكنز في أنية خزفية ليكون فضل القوة لله لا ممّا

ما أريد أن أقف عليه اليوم، أن نتأمل به قليلاً، هو هذه الجملة: لنا هذا الكنز، لنا كنز ولكّنه في أنية خزفية ليكون فضل القوة لله وليس لنا. نستطيع أن نتأمل وأن نتعلم الكثير من هذا الكلام، ولكن دعوني أذكر أمرين.

الأمر الأول: يذكّرنا الرسول أولاً بأن الفضل في هذا الكنز، الفضل في كل شيء، هو لله وليس لنا، كي يكون فضل القوة من الله لا ممّا نحن. الإنسان اليوم بحاجة كبيرة وماسة لتذكّر هذا الأمر. يا أحببة إنّ مشكلة الإنسان دوماً، مشكلة البشر، هي أنّه يعتدّ بذاته، يفخر بذاته، يريد كرامة فوق كرامته لذاته. وفي أحيان كثيرة، عندما يغتني هذا الإنسان، عندما يصبح ذا سلطان أو جاه أو قوة فإنّه ينسى أنّ كل ما هو بين يديه هو من الله وأنّ عليه أن يشكر الله. ففي المقابل نراه يعتدّ بذاته، يفخر بها ويظنّ أنّه أصبح ذا سلطان وذا جبروت يستطيع أن يحل ويربط، يستطيع أن يضايق الآخرين، أن يأخذ القرارات مهما كانت، يظنّ بمعنى من المعاني أنّه أصبح سيّداً وكأنه أصبح الله على الأرض فيتعامل مع الآخرين انطلاقاً من هذا السلطان، من هذا الجبروت. يذكّرنا الرسول بأنّ على الإنسان اليوم (وفي نهاية القديس الإلهي إن كنتم تذكرون توجد صلاة يقولها الكاهن وبالضبط في نهاية القديس الإلهي تقريباً يقول فيها لأنّ كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة هي منحدره من العلو من لدنك يا أبّ الأنوار) على الإنسان أن يكتشف هذا الأمر، أن يكتشف أنّ الله هو السيد، أنّ الله هو المعطي، أنّ الله هو الحياة، أنّ الله هو الكل في الكل وأنه إذا كان في أي واحد ممّا شيء من صلاح أو من خير وقد زرع الله في كل واحد ممّا صلاحاً وخيراً، الله زرع في كل واحد ممّا، خلق كل واحد ممّا على صورته، على صورته الإلهية وعلى مثاله ولهذا فإنّ الفضل له وليس لنا، على الإنسان إذاً أن يتذكّر

هذا الأمر. أن يتذكر أن هذا الصلاح الذي فيه هو من الله وليس نابعاً منه. ولهذا، ولهذا فإنه يشكر الله دوماً، يسجد دوماً أمام العزّة الإلهية ويشكر الله على عطاياه التي يعطينا إياها، يعطينا إياها بسخاء وبدون أي تردد.

الأمر الثاني الذي نستطيع أن نتعلمه من هذا الكلام هو أن هذا الكنز هو كنز، كنز لأنه الرب يسوع، لأنه مجد الله، لأن صورة الله فينا، نعم، لأن وديعة الإيمان فينا وهذا أثنى ما في الدنيا. ولهذا يقول الرسول إنّ هذا الكنز يصف مجد الله في وجه يسوع المسيح، معرفة الله يصفها بالكنز. وهنا يطرح السؤال: هل نحن نفكر هذا التفكير؟ هل نحن نحس هذا الإحساس؟ بأن هناك كنزاً فينا ألا وهو صورة الله، هو الرب يسوع المسيح الذي هو مجد الله فينا وأن هذا كنز؟ ويقول الرسول إنّ هذا الكنز في أنية خزفية أي في فخّار. لذلك دعوني أعطي مثلاً بسيطاً، إذا كان للواحد منّا جرّة فخّار يضع فيها زيتاً أو خمرًا، أو أيّ شيء ذي ثمن..، أفلا يحافظ عليها كي يحافظ على ما فيها؟! غير أن هذه الجرّة مصنوعة من فخّار، ولذا فهي قابلة للكسر، فإن انكسرت سيفرغ كل ما فيها ويضيع سدى وبالتالي فإننا سنخسر كل شيء. إذا، كأن الرسول يقول لنا إنّ علينا أن نحافظ على هذه الأنية، أن نحافظ على هذه الجرّة كي لا تتعطب، كي لا تنكسر، وإلا فإنّ الكنز سيفرغ ويذهب ونحن سنخسر كل شيء. كأنه يذكّرنا هنا بأنّ الكنز الذي فينا، مجد الله الذي فينا هو الربّ يسوع الحقيقي، لذلك يجب علينا أن نحافظ على أنفسنا لأننا نحن تلك الأنية المصنوعة من فخّار لأننا خطاة، ضعاف، ونحن نفر بذلك لأن قيمة الجرّة تكمن بما فيها وليس بما هي بحد ذاتها. ولهذا فإنّ الفضل هو للكنز، وإن كانت الجرّة غالية الثمن فالن ما فيها هو غالٍ وليس لأنها من فخّار، وإن كسرت تفقد ثمنها ولا ينظر إليها أحد بل تُرمى جانباً. يذكّرنا الرسول اليوم بأنّ الله، مجد الله الذي فينا، هو كنزنا وعلينا أن نطلب هذا الكنز وأن نحافظ على هذا الكنز. علينا أن نحافظ على أجسادنا، على كياننا أن يكون لائقاً بهذا الكنز وألا ينكسر أو ينعطب. وكيف نستطيع أن نحافظ على هذه الأنية، على هذا الإناء كي يبقى الكنز فيه؟ نحافظ عليه بقوة الرب، بنعمة الرب، بالجهاد الروحي، بالصلاة، بالصوم، بتناول جسد الرب ودمه الكريمين، بفعل الخير، بكلمة الرب في الكتاب المقدّس، بكل ما نعرفه، بإيماننا بأنّ الرب يسوع هو الطريق وهو الحق وهو الحياة. آنذاك نحافظ على ذاتنا فيكون كل واحد منّا كأنية من فخّار كإناء نظيف طاهر يلمع، يسطع من لمعانه، من نظافته غير أنّه يبقى إناء من فخّار وقيّمته تكمن في الكنز الذي فيه وعليه أن يبقى ساهراً منتبهاً يقظاً لئلا ينكسر أو ينعطب. وهذا ما نحتاج إليه أيضاً يا أحبّة، أن نبقى ساهرين. إنّ الإنسان الذي لا يبقى منتبهاً على نفسه تزليه القدم فيقع وينكسر وینعطب ويخسر آنذاك

كل شيء. إنّ دعوة الرسول لنا اليوم هي. أن نتذكّر أن المجد هو دوماً لله، أن الله هو المعطي وهو الخير وهو المحسن والفضل له وعلينا أن نقر بذلك وأن نكتشف أننا لسنا أكثر من أنية من فخار، علينا أن نكون أنقياء لنحتوي ذاك الكنز. وكما يقول، آنذاك تظهر حياة يسوع في أجسادنا أيضاً. نعم، تظهر حياته في أجسادنا فيراها الناس ويتمجد اسمه، هو المبارك وهو المجد إلى الأبد آمين.